﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: 125]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ولمّا بيَّن تعالى أنَّ أمر النَّجاة منوطٌ بالعمل الصَّالح والإيمان معًا؛ ناسب هنا أن يتبعه ببيان درجة الكمال في ذلك، وهو الدِّين القيِّم، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[1]، فليس أحد أحسن دينًا ممَّن أسلم وجهه لله، فيخلص له التّوجُّه، واتَّبع ملَّة إبراهيم، منحازًا إليها حنيفًا مائلًا عن الوثنيَّة أو ما شاكلها من دروب الإشراك وطرائقه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱتَّبَعَ﴾: جذر الكلمة هو: (تبع) التَّابع: التَّالي، ومنه التَّتبُّعُ والمتابعة، والاتِّباع، يتبَعه: يتلوه، والتَّتَبُّعُ: فعلك شيئًا بعد شيء، تقول: تتبَّعتُ علمه، أي: اتَّبعت آثاره، قال سيبويه: تَتَبَّعَه اتِّباعًا؛ لأنَّ (تَتَبَّعْت) في معنى: اتَّبَعت[2]، وقال القطَّامي:

وخيرُ الأمرِ ما استَقبَلْتَ مِنْهُ *** وَليس بأن تتبَّعه اتِّباعا[3]

وفي التَّنزيل: ﴿ثُمَّ ٱتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ [الكهف: 89]، ومعناها: تبع، أي: لحق، وأدرك[4].

2) ﴿حَنِيفًا﴾: جذر الكلمة هو: (حنف) الحَنَفُ: مَيْلٌ في صدر القَدَم، ورجلٌ أَحْنَفُ، ورِجْلٌ حَنْفاءُ، ويقال: تَحَنَّفَ فلان إلى الشَّيء تحنُّفًا؛ إذا مال إليه، والحَنيفُ - في قولٍ - المُسلمُ الَّذي يستَقبِل قِبْلَةَ البَيت الحَرام على مِلَّةِ إبراهيم حَنيفًا مُسْلِمًا[5]، والقول الآخر: الحنيفُ كلُّ من أَسْلَمَ في أمر الله، فلم يلتوِ في شيءٍ منه، وأَحَبُّ الأديان إلى اللهِ الحَنيفيَّة السَّمْحة، وهي مِلَّة النَّبيِّ ﷺ لا ضيقٌ فيها ولا حرج[6].

(1) رضا، تفسير المنار: 5/375.
(2) سيبويه، الكتاب: 4/82، وفيه: "لأنَّ تَتَبَّعْتُ واتَّبَعْتُ في المعنى واحدٌ".
(3) الدّينوري، الشّعر والشّعراء: 2/714.
(4) ابن سيده، المُحكم: (تبع). وهي قراءة نافع وأبي جعفر وابن كثير وأبي عمرو ويعقوب.
(5) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والزّمخشري، أساس البلاغة: (تبع).
(6) الخليل، العين: (تبع).

3) ﴿خَلِيلًا﴾: جذر الكلمة هو: (خلل)، واخْتُلَّ إلى فلانٍ، أي: احتيج إليه، من الخَلَّة، وهي الحاجة، والخَلَّةُ: الخَصْلَةُ، والخِلُّ: الرَّجلُ الخليل[1]، والخِلُّ والخَليل وَاحِد، وَكَذَلِكَ الخلَّة أَيْضًا، والخُلَّة: المَوَدَّة[2]، والخليل في كلام العرب: الصَّاحب الملازم الَّذي لا يخفى عنه شيء من أمور صاحبه، مشتقٌّ من الخِلال، وهو النَّواحي المتخلِّلة للمكان، قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النور: 43]، وقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣﴾ [الكهف: 33]، هذا أظهر الوجوه في اشتقاق الخليل، وتطلق الخُلَّة - بضمِّ الخاء - على الصُّحبة الخالصة، قال تعالى: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: 254].

❁ المعنى العامُّ للآية:

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، ومن أحسن دينًا: أحكم دينًا، دلَّ على الدِّين المقبول عند الله تعالى، ﴿مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾، أي: أخلص عمله لله، وقيل: فوَّض أمره إلى الله، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: موحِّد، فتوجَّه إلى الله، ولم يتوجَّه إلى غيره، وقوله: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، يعني: دين إبراهيم عليه السلام، حنيفًا: مسلمًا مخلصًا، قال ابن عبَّاس: ومن دين إبراهيم: الصَّلاة إلى الكعبة، والطَّواف بها، ومناسك الحجِّ، وإنما خصَّ بها إبراهيم؛ لأنَّه كان مقبولًا عند الأمم أجمع، وقيل: لأنَّه بعث على ملَّة إبراهيم، وزيدت له أشياء[3]، وقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾: صفيًّا، والخُلَّة: صفاء المودَّة، أي: اصطفاه لتوحيده وإقامة دينه، وكان كامل الحُبِّ لله، وقد تخلَّل ذلك الحُبُّ روحَه؛ ولذلك عادى أباه وقومه في حبِّه تعالى والإخلاص له، وقيل: المعنى: أنَّه خصّه بكرامات تشبه كرامات الخليل عند خليله[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾:

الواو: استئنافيَّة، "لمَّا بيّن الله تعالى أنَّ الجنَّة لمن يعمل من الصَّالحات، وهو مؤمن؛

(1) الخليل، العين: (خلل).
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة: (خلل).
(3) البغويّ، معالم التّنزيل: 1/705.
(4) الموصلّي، أولى ما قيل: 3/132 - 133.

استئنافيَّة شرحًا لـلإيـمـان وبيان فضله

شرح الإيمان، وبيَّن فضلَه، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾، يعني: ومن أحكم دينًا"[1].

"والأظهر أنَّ الواو للحال من ضمير يدخلون الجنَّة الَّذي (ماصَدَقهُ)[2] المؤمنون الصَّالحون، فلمَّا ذكر ثواب المؤمنين؛ أعقبه بتفضيل دينهم"[3].

الإيجاز بالقصر في الآية الكريمة:

جمعت المقاصد والأغـــراض في الاعتقاد والعمل

حيث عبّرت الآية الكريمة عن دين الإسلام تعبيرًا مختصرًا، ولكنَّه يشمل كلَّ ما فيه، فهو مبنيٌّ على أمرين: الاعتقاد والعمل، أمَّا الاعتقاد؛ فإليه الإشارة بقوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾؛ لأنَّ الإسلام هو الانقياد والخضوع، والوجه أحسن أعضاء الإنسان، فالإنسان إذا عرف بقلبه ربَّه، وأقرَّ بربوبيَّته وبعبوديَّة نفسِه؛ فقد أسلم وجهه لله، وأمَّا العمل؛ فإليه الإشارة بقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، ويدخل فيه فعل الحسنات وترك السَّيِّئات، فتأمَّلْ في هذه اللَّفظة المختصرة واحتوائها على جميع المقاصد والأغراض[4].

فقد اشتملت هذه الكلمات العشر على الدِّين كلِّه أصلًا وفرعًا مع التَّرغيب بالمدح الكامل لمتَّبعه، وإفهام الذَّمِّ الكامل لغيره[5]، وهذا من جميل الإيجاز في الآية الكريمة.

جناس الاشتقاق بين ﴿أَحْسَنُ﴾ و﴿مُحْسِنٌ﴾:

لـلـحُـسْـنِ ولـلإحـسـان جـوهـر واحـد يدور فلكه حول الإيمان

جناس الاشتقاق أو التَّجنيس المغاير[6] في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، وفائدة هذا الاشتقاق: بيان أنَّ الإحسان يؤدِّي

(1) الخازن، لباب التأويل: 1/431.
(2) الماصدق عِنْد المناطقة: الأَفْرَاد الَّتِي يتَحَقَّق فِيهَا معنى الْكُلِّيّ، المعجم الوسيط: باب الصاد.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/210.
(4) الرازي، مفاتيح الغيب: 11/45.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 5/413.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/78.

إلى أحسن الدِّين بعد إسلام الوجه لله، فيكون الإحسان هنا: حسن الأخلاق ومكارمها، وأنَّ الأخلاق الَّتي منبعها الإسلام هي شطر الدِّين، ومن ذلك قوله ﷺ: "إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ؛ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا؛ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرض وَفَسَادٌ كَبِيرٌ، وَفِي رِوَايَةٍ: عَرِيضٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟[1] قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ؛ فَأَنْكِحُوهُ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"[2]، فالدِّين والأخلاق متلازمان للأمثل من الأحوال ممَّن استحقَّ المدح من الله، والتّشريف بأحسن السُّبل الَّتي يمكن أن يختارها الإنسان.

الاستفهام الإنكاريُّ في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾:

مدح من فعل ذلك على أتمّ وجه

والاستفهام إنكاريٌّ، وهو في معنى النَّفي، والمقصود مدح من فعل ذلك على أتمِّ وجه،[3]، فلمَّا ذكر ثواب المؤمنين؛ أعقبه بتفضيل دينهم، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾، ويدلُّ على استبعاد أن يكون أحدٌ أحسن دينًا ممَّن ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، وفي هذا الاستفهام تنبيهٌ على أنَّ ذلك منتهى ما تبلغه القوَّة البشريَّة[4]، فذلك أسمى ما يمكن أن يحقِّقه الإنسان في صحَّة التَّديُّن والتَّعبُّد، ومع ذلك فهو ممكنٌ مُتاح لجميع النَّاس، أن يلتزموا هذا الأسلوب المُرغَّب فيه الَّذي مدحه الله تعالى في كتابه، فيكون الفرد على أتمّ وجه وأكمله، كما جاءت بهم الرُّسل عليهم السلام.

الكناية في قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾:

نبّهت على شَرَفِ المَنبَع وفوزِ المتَّبِع

لمَّا كان المُرادُ الإخلاصَ الَّذي هو أشرف الأشياء، عبَّر عنه بالوجه الَّذي هو أشرف الأعضاء، فقال: ﴿وَجْهَهُۥ﴾، أي: قياده، أي: الجهة الَّتي يتوجَّه إليها بوجهه، أي: قصده كلُّه الملازم للإسلام نفسه لله،

(1) أَيْ: شَيْءٌ مِنْ قِلَّةِ المَالِ أَوْ عَدَمِ الْكَفَاءَةِ، ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي: 3/151.
(2) عبد الجبار، الجامع الصحيح للسُّنن والمسانيد: 34/374.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 3/148.
(4) البيضاوي، تفسير البيضاوي: 2/99.

فلا حركة له، ولا سكنة إلَّا فيما يرضاه؛ لكونه الواحد الَّذي لا مثل له، فهو حصر بغير صيغة الحصر، فأفاد فساد طريق مَن لفت وجهه نحو سواه باستعانة أو غيرها[1].

وإسلام الوجه له تعالى: توجُّه القلب إليه، وعبَّر عنه به؛ لأنَّ الوجه أعظم مظهر لما في النَّفس من الإقبال أو الإعراض، والسُّرور أو الكآبة إلى نحو أولئك، وتوجيهه له: جعله يتوجه إليه وحده في طلب حاجته، وإخلاص عبوديَّته؛ إذ هو المستحقُّ للعبادة القادر على الأجر والثَّواب[2].

وإسلام الوجه كناية عن صفة تمام الطَّاعة والاعتراف بالعبوديَّة، وهو أحسن الكنايات؛ لأنَّ الوجه أشرف الأعضاء، وفيه ما كان به الإنسان إنسانًا، وفي القرآن ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ [آل عمران: 20]، والعرب تذكِّر أشياء من هذا القبيل كقوله: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥﴾ [العلق: 15]، ويقولون: أخذ بساقه[3]، أي: تمكَّن منه، وكأنَّه تمثيل لإمساك الرُّعاة الأنعام، ويقولون: ألقى إليه القياد، وألقى إليه الزِّمام، وقال زيد بن عمرو بن نفيل: يقول: أنفي لك عانٍ راغم، ويقولون: يدي رهْن لفلان، وأراد بإسلام الوجه الاعتراف بوجود اللَّه ووحدانيَّته[4].

وخصَّ الوجه بالإسلام للَّه تعالى؛ لِمَا يشتمل عليه من السّمع والبصر والتَّذوُّق والشَّمِّ، فهو مجمع الحواسِّ، وهو بمنزلة المقود للإنسان، فإذا أسلم هذا العضو؛ فبقيَّة الأعضاء تبع له ومنقادة لأوامره ونواهيه، وهذا من أسرار البلاغة والبيان والدِّقَّة المتناهية في التَّعبير القرآنيِّ الكريم[5].

دلالة التَّقييد في قوله: ﴿وَٱتَّبَعَ﴾:

ولمَّا كان هذا ينتظم مَن كان على دين أيِّ نبيٍّ كان قبل نسخه؛ قيَّده بقوله: (واتَّبع) أي: بجهد منه ﴿مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الَّذي اشتهر عند جميع الطَّوائف أنَّه ما دعا إلَّا إلى اللَّه ﷻ وحدَه، وتبرَّأ ممَّا سواه من فلك وكوكب وصنم وطبيعة وغيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي

(1) البقاعي، نظم الدرر: 2/323.

(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 8/426.

(3) وفي الحديث: «يَا أَيُّهَا النَّاس، مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يُزَوِّجُ عَبْدَهُ أَمَتَه، ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا، إِنَّمَا الطَّلَاقُ لِمَنْ أَخَذَ بِالسَّاقِ»، أي: الطَّلاق حقُّ الزَّوج الَّذي له أن يأخذ بساق المرأة لا حقُّ المولى، ينظر: ابن ماجه، سُنن ابن ماجه، الحديث رقم: (2081): 1/672.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/210.

(5) صافي، الجدول: 5/184.

بـــذل الـجُـهـد وصـرف الطَّاقة لـلـوصـول إلى الحقِّ

وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ [الأنعام: 79]، حال كون ذلك المتَّبع ﴿حَنِيفًا ۖ﴾ أي: ليِّنًا سهلًا ميَّالًا مع الدَّليل، والمِلَّة: ما دعت إليه الفطرة الأولى بمساعدة العقل السَّليم من كمال الإسلام بالتَّوحيد[1]، ويحتجُّ بقوله: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ﴾ من يرى شرعه لازمًا لنا؛ ما لم يرد ناسخٌ في شرعنا[2].

التَّرقِّي وتصعيد المعاني في قوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾:

الإحـســان هـو أرقــى درجــات الإيمان

قوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الواو للحال، والجملة حاليَّة، من الضَّمير المستتر في (أسلَمَ)، وقُصِد منها اتِّصافُه بالإحسان حين إسلامِه وجهَه لله، أي: خلع الشِّرك قاصدًا الإحسان، أي: راغبًا في الإسلام؛ لما رأى فيه من الدَّعوة إلى الإحسان، وقد ذكر قبل ذلك في الآية السَّابقة جملة حاليَّة مثلَها، وهو قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، وصاحب الحال هو الضَّمير المستتر في ﴿يَعْمَلْ﴾، وقد ترَقَّى من الإيمان إلى الإحسان؛ للتَّنبُّه على أنَّه في أعلى درجات الإيمان، والإحسان أن تعبد الله كأنَّك تراه؛ فإن لم تكن تراه؛ فإنَّه يراك.

ثُمَّ الترقِّي إلى الاتِّباع، فهو ترقٍّ تصعيديٌّ، يدلُّ على كمال الدِّين، وشموله كلَّ ما يُصْلح الحياة، ولعلَّ هذا النَّوع من التَّرقِّي نادر مهمٌّ.

ومعنى ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ﴾: أنَّه اتَّبَعَ شريعة الإسلام الَّتي هي على أسس ملَّة إبراهيم، فهذه ثلاثة أوصاف، بها يكمل معنى الدُّخول في الإسلام، ولعلَّها هي: الإيمان، والإحسان، والإسلام، ولك أن تجعل معنى أسلم وجهه لله: أنَّه دخل في الإسلام، وأنَّ قوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: مخلص راغب في الخير، وأنَّ اتِّباع ملَّةِ إبراهيم عُني به التَّوحيد[3]، وهذا الفهم يفيد التَّرقِّي أيضًا.

(1) صافي، الجدول: 5/413.
(2) السّيوطيّ، الإكليل: 101.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/211.

وتقدَّم أنَّ حنيفًا معناه: مائلٌ عن الشِّرك أو متعبِّدٌ، يقال: حنف في الطَّريق؛ إذا استقام عليه، فكلٌّ من سلك طريق الاستقامة؛ فهو حنيف[1].

العدول عن (مستقيمًا) إلى ﴿حَنِيفًا﴾:

إبـــــراز دور مجاهدة النَّفس

قوله: ﴿حَنِيفًا﴾، أي: مائلًا عن الأديان الباطلة كلِّها: من اليهوديَّة والنَّصرانيَّة والوثنيَّة إلى الدِّين الحقِّ السَّمح الَّذي هو التَّوحيد، وهو حال من المضاف إليه، وهو إبراهيم، فيكون الفعل دالًّا على مجاهدة النَّفس، وكفِّ نشاطها عن الميل والإصغاء إلى الشَّيطان ووسوسته.

كما أنَّ وصفه بالحنيفيَّة يدلُّ على عِظَم مكانة التَّخلِّي قبل التَّحَلِّي، فقد نشأ إبراهيم في بيئة تصنع الأصنام، وتعبدها، وموافقة الرُّشد الَّذي آتاه الله إيَّاه مع الفطرة السَّليمة الممنوحة له ولغيره، وكذلك حال كلِّ مؤمن يقتدي بإبراهيم عليه السلام أنَّه يكون حنيفًا، متجدِّد الميل، مستمرَّ المُتابعة للنَّفس، أمّا "مستقيمًا"؛ فإنَّ الاستقامة هي استقامة الدِّين، وأنَّ المؤمن يخطو خطوات مرسومة له في خطوات الدِّين وتشريعاته وحدوده، فيذهب إبراز دور النَّفس هنا، والمُجاهدة والتَّفاعل مع المُغريات، ورفضها والميل عنها.

وقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ عطف ثناء إبراهيم على مدح من اتَّبع دينَه زيادةَ تنويه بدين إبراهيم، فأخبر أنَّ الله اتَّخذ إبراهيمَ خَليلًا[2].

الإظهار في موضع الإضمار في قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾:

لتفخيم شأنه، والتَّنصيص على أنَّه الممدوح

قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾، إظهار في موضع الإضمار، فقال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ ولم يقل: اتّخذه الله خليلًا، على

(1) أبو الحسن القيرواني، النُّكت في القرآن: 193.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 5/211.

أنَّ المراد بالخليل لازم معنى الخُلَّة، وليست هي كخُلَّة النَّاس مُقتضية المساواة أو التَّفضيل.

وإظهاره - ﷺ - في موضع الإضمار؛ لتفخيم شأنه، والتَّنصيص على أنَّه الممدوح[1]، والتَّصريح بالمقصود، والاحتراس من الإبهام، ولإعلاء قدره، والتَّنويه بذكره[2].

بلاغة الكناية في قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلَۢا﴾:

التَّرغيب في اتِّباع ملّة إبراهيم عليه السلام

ولمَّا كان التقدير ترغيبًا في هذا الاتِّباع، فقد جعل الله ﷻ مِلَّة إبراهيم أحسن الملل، وخلقه يوم خلقه حنيفًا؛ عطف عليه قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ﴾، أي: الملك الأعظم أخذ من معين بذلك مجتهد فيه ﴿إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلَۢا﴾؛ لكونه كان حنيفًا، فالجملة كُلُّها كناية عن التَّرغيب في اتِّباع ملَّة إبراهيم ﷺ.

والمراد بالخليل في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلَۢا﴾ [النِّساء: 125] مجاز عن اصطفائه، واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله[3]، والجمهور: على أنَّها من الخُلَّة، وهي المودَّة الَّتي ليس فيها خلل[4].

أو المراد منها الكناية عن عبوديَّة إبراهيم في جملة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، فأطلق الخليل، وأريد لازم معنى الخُلَّة، وليست هي كخلَّة النَّاس مقتضية المساواة أو التَّفضيل[5].

اعتراضيَّة؛ لتأكيد وجوب اتِّباع مِلَّته

نوع الجملة ودلالتها في قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلَۢا﴾:

قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلَۢا﴾ هي جملة اعتراضيَّة لا محلَّ لها من الإعراب، كنحو ما يجيء في الشِّعر من قولهم: والحوادث

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/236.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 5/414.
(3) الزمخشري، الكشاف: 1/569.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 4/77.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/264.

جَمَّةٌ[1]، وفائدتها: تأكيد وجوب اتِّباع مِلَّته؛ لأنَّ من بلغ من الزُّلفى عند الله أن اتَّخذه خليلًا؛ كان جديرًا بأن تُتَّبع مِلَّتُه وطريقتُه[2].

مناسبة التَّذييل في الآية الكريمة:

التَّرغيب العظيم في هذا الدِّين

جاء قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ تذييلًا للآية الكريمة، وفيها أنَّه لمَّا ذكر مِلَّة إبراهيم، ووصفه بكونه حنيفًا، ثم قال عَقِيبَه: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ أشعر هذا بأنَّه سبحانه إنَّما اتَّخذه خليلًا؛ لأنَّه كان عالمًا بذلك الشَّرع آتيًا بتلك التَّكاليف، وممَّا يؤكِّد هذا قوله: ﴿*وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾ [البقرة: 124]، وهذا يدلُّ على أنَّه سبحانه إنَّما جعله إمامًا للخلق؛ لأنَّه قد أتمَّ تلك الكلمات.

وإذا ثبت هذا؛ فنقول: لمَّا دلَّت الآية على أنَّ إبراهيم ﷺ إنَّما كان بهذا المنصب العالي، وهو كونه خليلًا لله تعالى بسبب أنَّه كان عاملًا بتلك الشَّريعة؛ كان هذا تنبيهًا على أنَّ من عمل بهذا الشَّرع لا بدَّ أن يفوز بأعظم المناصب في الدِّين، وذلك يفيد التَّرغيب العظيم في هذا الدِّين[3]، فالتَّذييل جيء به للتَّرغيب في اتِّباع مِلَّته ﷺ، والإيذان بأنَّه نهاية في الحُسن[4].

(1) وردت هذه الجملة كثيرًا في الشِّعر، ومنه قول كُثَيِّر عزَّة:
فَيَا لَيْتَ شِعْري والحَوَادِثُ جَمَّةٌ *** مَتَى تَجْمَعُ الأَيَّامُ يوماً بها شَملا
وهو من البحر الطويل، وهو في ديوانه، ص: 125، قوله: والحوادث جَمَّة، أي: كثيرة، جملة اعتراضيَّة.
(2) الزَّمخشري، الكشَّاف: 1/602.
(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 11/46.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 3/148.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»